

قراءة مقارنة بين رواية "أميركا" للروائي "ربيع جابر" ورواية "مئة عام من العزلة" للروائي "غابرييل ماركيز"

A comparison reading Between Two Novels: "America" & "100 Years of Solitude"

إعداد: أ. سوسن أحمد نبريسي؛ أستاذة محاضرة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين

Prepared by: Sawsan Ahmad Nabresi: Lecturer in An Najah National University, Palestine

sawsannabresi@hotmail.com

الملخص:

هدفت الدراسة إلى تحليل القواسم المشتركة بين رواية "أميركا" للروائي "ربيع جابر"، ورواية "مئة عام من العزلة" للروائي "غابرييل ماركيز"، فقد تمت المقارنة بالتركيز على عدة عناصر أدبية، بدءاً بالزمان، ثم المكان، وكذلك الأحداث والشخصيات، وأخيراً الحبكة والمبنى الروائي.

استندت الدراسة على المنهج التحليلي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها: أنّ الروائيين "ربيع جابر" و"غابرييل ماركيز" حازا على جائزة للآداب نتيجة تميز أعمالهما الأدبية، وأنّ كلتا الروائيتين تشكلا تأريخاً اجتماعياً، وتاريخياً للأحداث التي دارت إبان الحقبة التي تناولتها الرواية، وأنّ كلتا الروائيتين تسرد حقبة زمنية تمتد إلى قرن كامل. واتخذت الروائيتان القرية مسرحاً للأحداث، فقد تحدث "ربيع جابر" عن قريته "بتاتر"، و"ماركيز" عن قريته "ماكوندو"، وكانت المرأة هي الشخصية المحورية في العمليتين الروائيتين، وكلتا الروائيتين سردت تاريخاً، ف "أميركا" تتحدث عن تاريخ المهاجرين الأوائل إلى أميركا، ورواية "مئة عام من العزلة" تتحدث عن قرية "ماكوندو".

الكلمات المفتاحية: رواية أميركا، ربيع جابر، رواية مئة عام من العزلة، غابرييل ماركيز.

Abstract:

The study aimed to analyze the common sides between the two novels: "America" by Rabie Jaber, and "One Hundred Years of Solitude" by Gabriel Marquez. The comparison has focused on several literary elements starting with time, place, events, characters, then finally plot and narrative structure .

The study relied on the analytical method which is used for analysing the common sides between the two novels, and it reached a set of results, the most important which are :

The two novelists Rabie Jaber and Gabriel Marquez have won an award on literature as an appreciation of their literary works. Further, both novels constitute a social history for the events that happened in the period which

is covered by the novel. Both novels narrated an era spanning a whole century. Else, the both novels took the village as a theatre of events thus Rabie Jaber talked about his village “Batater” and Marquez about his village “Macondo.”

The woman was the main character in the two novels, and both of them narrated a history, “America” talks about the history of first immigrants to America, and “One Hundred Years of Solitude” talks about “Commando” Village.

Keywords: Novel of America, Rabie Jaber, One Hundred Years of Solitude, Gabriel, Marquez

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تُعَدُّ العلاقة بين الأدب والتاريخ علاقة وطيدة، فلا يمكن دراسة تاريخ ما دون التوقف على الدراسات الأدبية لتلك الفترة، وما ذلك إلا لأنَّ الأدب هو شيفرة للواقع والتاريخ معاً، يقوم الأديب بإعادة تشكيل التاريخ مرة أخرى، فظاهرياً قد يظنُّ المرء أنَّ كلاً منهما يسير في اتجاه مغاير عن الآخر، والقارئ المتمعن يلحظ أنَّهما مكملان لبعضهما البعض، ويتجلَّى ذلك في الأعمال الأدبية التي يسعى من خلالها إلى توصيل شيء ما عاجزاً عن قوله، وهذه السمة المميزة لأعمال "نجيب محفوظ" الروائية. فهل يمكن القول إنَّ الأدب هو سفينة التاريخ؟ ومما لا شكَّ فيه أنَّ الأمة التي لا تقرأ تاريخها لا يمكن أن تعرف حاضرها لتخطط لمستقبلها، فالعلاقة بين الأدب والتاريخ علاقة تكاملية لا انفصال فيها.

وعلى الرغم من أنَّ الرواية فنُّ أدبي حديث النشأة إلا أنَّها سجلت إقبالاً واضحاً وكبيراً من قبل الجمهور، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لمَّ الرواية هي من أكثر الفنون الأدبية الحديثة قراءة؟ ويعود السبب في ذلك إلى السمات والخصائص التي ميزت الرواية من غيرها، فيمكن القول إنَّ الرواية تتجاوز الحدود والقيود المفروضة على الناس، فتطلق العنان للعقل الباطني وتفتح المجال أمام تيار

اللاوعي الكامن، فالناس يهربون إلى الرواية لقدرة شخصياتها على البوح، والقول لما يعتمل في نفوسهم ويستقر في أذهانهم، ولا يستطيعون قوله.

اختلفت الأقلام وتعددت الآراء ووجهات النظر حول رواية "أميركا" للروائي اللبناني "ربيع جابر" الصادرة عام 2009، فكان من بين هذه القراءات من عادت إلى الوراء قليلاً إلى تاريخ أمريكا اللاتينية والكاتب "غابرييل ماركيز" (1927_2014)، وروايته المشهورة "مئة عام من العزلة" الصادرة عام ألف وتسعمئة وست وسبعين، وذلك بقلم الكاتب السوري عقبة مشوح، حيث أشار في مقال له بعنوان "أميركا": قراءة تحليلية" نُشرَ في أندية القراءة السعودية، عن وجود تشابه بين الروائيتين، وهذا هو بيت القصيد في الدراسة، وبذلك تحاول الباحثة الكشف عن القوة المغناطيسية الخفية الموجودة بينهما، ولما كانا العملان ينتميان للجنس الأدبي نفسه؛ وهو فن الرواية، فإن عناصرهما الأدبية واحدة، وبالتالي فإن هناك عدة مواطن تتقاطع بها الروائتان، أو يمكننا القول تصلح لأن تكون موضعاً للمقارنة.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة عن السؤال الآتي:

ما أوجه التلاقي والتشابه بين رواية "أميركا" للروائي "ربيع جابر" و رواية "مئة عام من العزلة" للروائي "غابرييل ماركيز"؟

وينبثق عنه الأسئلة الآتية:

1- مَنْ هو ربيع جابر وروايته "أميركا"؟

2- مَنْ هو "غابرييل ماركيز" وروايته "مئة عام من العزلة"؟

3- ما هي أوجه التشابه بين الروائيتين؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي، واحتوت تمهيداً ومحوراً واحداً بعنوان: ما بين رواية "أميركا" للروائي "ربيع جابر" ورواية "مئة عام من العزلة" للروائي "غابرييل ماركيز". وفي التمهيد قدمت نبذة عن الروائيين، وملخصاً لكلا الروائيتين، أمّا المحور فتناولت فيه معالجة وتحليل مكونات وعناصر العمل الأدبي الروائي كاشفاً عن نقاط التلاقي بين الروائيتين، فاحتلّ الزمان الدور الأول من بين هذه

العناصر لأهميته، وتبعه المكان، ثم الأحداث والشخصيات، وأخيراً الحبكة والعمل الروائي، وانتهت بخاتمة ونتائج الدراسة.

أهداف الدراسة:

- التعريف برواية "أميركا" وكاتبها "ربيع جابر".
- التعريف برواية "مئة عام من العزلة" وكاتبها "غابرييل ماركيز".
- معرفة القواسم المشتركة بين الروائيتين؛ "أميركا" و "مئة عام من العزلة".

تمهيد حول الروائي ربيع جابر، وروايته "أميركا"

ربيع جابر

هو روائي وصحفي وأديب لبناني، ولد في بيروت عام 1972م، وحصل على درجة البكالوريوس في الفيزياء من الجامعة الأمريكية في بيروت. ويعمل محرراً في الملحق الفكري والأدبي الأسبوعي "آفاق" في جريدة (الحياة) الصادرة في لندن.

لقب بالروائي الخجول، وذلك لحبه للعزلة، فقد تجنّب الحياة والابتعاد عنها، ولجأ إلى كتبه وأقلامه معتبراً أن الكتابة هي الخلاص الوحيد، حاول في البداية الجمع بين الواقع والخيال في أدبه، إلا أنه سرعان ما عزم الدخول إلى معارك التاريخ والتغلغل فيها، حتى باتت الروايات التاريخية لعبته السردية المفضلة، يُعرف عنه الغزارة في الإنتاج الروائي، والتنوع في المواضيع والأساليب. حاز الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) لدورة عام 2012 عن رواية "دروز بلغراد – حكاية حنا يعقوب"، وأعلن عن ذلك في أبوظبي يوم 27 مارس 2012، أعماله الروائية:

- "سيد العتمة"، 1992
- "شاي أسود"، 1995
- "البيت الأخير"، 1996
- "الفراشة الزرقاء"، 1996
- "زالف رزق الله في المرأة"، 1997
- "كنتُ أميراً"، 1997

- “نظرة أخيرة على كين ساي”، 1998
 - “يوسف الإنجليزي”، 2000
 - “بيروت مدينة العالم – الجزء الأول”، 2003
 - “بيروت مدينة العالم الجزء الثاني”، 2005
 - “رحلة الغرناطي”، 2005
 - “تقرير ميليس”، 2006
 - “بيريوس: مدينة تحت الأرض”، 2006
 - “بيروت مدينة العالم – الجزء الثالث”، 2007
 - “الاعترافات”، 2008
 - “أمريكا”، 2009
 - “دروز بلغراد – حكاية حنا يعقوب”، 2011
 - “طيور الهوليداي إن”، 2011
- استرجعت من : ربيع جابر | جائزة كتارا للرواية العربية (kataranovels.com). (ربيع جابر | أجد (abjjad.com)). (ما لا تعرفه عن ربيع جابر.. من هو؟ سيرته الذاتية، إنجازاته وأقواله، معلومات عن ربيع جابر (arageek.com))
- رواية "أميركا"

قدّم الروائي اللبناني "ربيع جابر" إلى المكتبة عملاً أدبياً مميزاً، فمن خلال أربعمئة وثلاثين صفحة يقدم لنا ملخصاً لقرن بأكمله وهو القرن العشرين واقفاً على العديد من الوقائع الكبرى التي غيرت مجرى التاريخ كالحرب العالمية الأولى والثانية والإنفلونزا الإسبانية والفساد العالمي والجراد كل ذلك من خلال سرده قصة فتاة ريفية من قرية "بتاتر" في جبل لبنان تسافر بحثاً عن زوجها الذي سافر من أجل العمل فانقطعت أخباره ولم يكن في جعبتها سوى القليل من المال وزودة بسيطة. وفي رحلة طويلة اجتازت من خلالها المحيط أولاً والمشقة والمتاعب ثانياً لتصل أخيراً للتاجر حيث يعمل زوجها، لتجده هناك منقطع الأخبار أيضاً فلم يكن أحد يعلم تحت أي سماء يستظل.

فسرعان ما بدأت بالعمل في معمل خياطة وذات يوم بينما هي عائدة إلى المنزل حيث تسكن، فسمعت أنَّ زوجها يقطن وزوجته الأمريكية فتتقلب حياتها رأسًا على عقب وذلك بعد مشاهدته وإياها مشاهدة العين بالعين.

وجدت مارتا نفسها وحيدة ومخدولة، لكنَّ سرعان ما اشتعلت نار الحياة فيها من جديد من رماد أضحى دخانًا فقررت الحياة في أميركا والاستمرار بالعمل فعملت بائعة متجولة كالشاشة إلى أنَّ أصبحت صاحبة متجر وذلك مرورًا بسنوات عديدة شهدت فيها مخاضات كثيرة كالحرب العالمية الأولى والثانية والإنفلونزا الإسبانية والفساد العالمي والجراد، والعديد من الأحداث الداخلية أي اليومية، مرّت بها والعديد من المهاجرين السوريين عملت وكافحت متقلبة بين تجارب كثيرة ومختلفة حولتها من فلاحه بسيطة إلى أمريكية أصيلة تجلس بين أبنائها من زوجها الثاني وأحفادها في مزرعتها ملكة ثرية في الثمانينات. (الناقلي مهند(2016) أميركا: للكاتب ربيع جابر، رواية ملحمية من عذابات المهاجرين الأوائل، رأي اليوم، استرجعت من: "أميركا" للكاتب ربيع جابر.. رواية ملحمية عن عذابات المهاجرين الأوائل - رأي اليوم (raiaiyoun.com). (الأسطة عادل(2015) أميركا لربيع جابر: تداعيات، فلسطين: جريدة الأيام، استرجعت من: «أميركا» لربيع جابر : تداعيات - (al-ayyam.ps). مشوح عقبة(2011) أميركا قراءة تحليلية، أندية القراءة السعودية، استرجعت من: Saudi Book Clubs أندية القراءة السعودية | Facebook. (المعيني أحمد حسن(2010) عالم روائي بديع، وملحمة بطلتها امرأة عرض لرواية أميركا، استرجعت من : أكثر من حياة: قراءات: رواية "أميركا" لـ(ربيع جابر) (morethan1life.blogspot.com). المحسن فاطمة (2009) رواية ربيع جابر "أميركا" تبادل الأماكن وتبدلها في قصة الهجرة والاعتراب، الرياض، ع.15018، استرجعت من: جريدة الرياض | رواية ربيع جابر «أميركا» تبادل الأماكن وتبدلها في قصة الهجرة والاعتراب (alriyadh.com)

الروائي "غابرييل ماركيز" وروايته "مئة عام من العزلة"

"غابرييل ماركيز"

هو روائي وصحفي وكاتب قصص قصيرة أمريكي، ولد عام 1927م في كولومبيا، وتوفي عام 2014، عن عمر يناهز 87 عامًا. ترعرع في بيت العائلة مع أجداده، فقد كان يستمع إلى حكاياتهم العائلية الشيقة، التي أثّر بشكل كبير في كتاباته، حتى بات يُعرف بالروائي العالمي فياض الخيال.

اتسم أسلوبه بأنه أقرب إلى الواقعية، والذي جمع فيه بين أسلوب قصص الحكايات التقليدية الممزوج بالخيال. من أشهر أعماله (مئة عام من العزلة)، حاز على إثرها على جائزة نوبل للأدب في عام 1982، له العديد من الروايات والقصص القصيرة والحكايات والمقالات والمسرحيات.

استرجعت من: (ما لا تعرفه عن غابرييل غارسيا ماركيز.. من هو؟ سيرته الذاتية، إنجازاته وأقواله، معلومات عن غابرييل غارسيا ماركيز (arageek.com)). استرجعت من: (غابرييل غارسيا ماركيز.. روائي عالمي ذو خيال فياض - BBC News عربي). استرجعت من: (نظرة على حياة غابرييل غارسيا ماركيز - BBC News عربي).

رواية "مئة عام من العزلة"

قدّم الروائي "غابرييل ماركيز" إلى البشرية عام 1976 عملاً أدبياً فذاً بلغته الأم؛ وهي الإسبانية، ومنها تُرجم إلى العديد من اللغات، واكتسب شهرة عالمية بعنوان "مئة عام من العزلة" وعلى إثره منح جائزة نوبل للأدب عام 1982، ولم يزل حتى يومنا هذا من أكثر الكتب مبيعاً وقراءة.

يسرد فيه تاريخاً امتدّ على مدار ستة أجيال لقرية "ماكوندو" التي عاشت في عزلة أبدية متحدثاً عن سلالة "آل بوينديا" وتأسيسهم لقرية "ماكوندو" ويأتي على حياتهم اليومية والاجتماعية والسياسية بتفاصيلها التي أضفى عليها عنصرًا خياليًا جماليًا امتازت بها الرواية، وسما بها مروراً بالعديد من الأحداث كالحرب بين المحافظين والليبراليين، والمطر الذي استمر أربع سنوات حتى وصل الخيال ذروته في نهاية الرواية، حيث شكل الوسيلة التي من خلالها أسدل الستار على تاريخ قرية "ماكوندو" الممتدة لعشرة عقود، وذلك بذيل خنزير للمولود الأخير لقرية "ماكوندو" وسلالة "بوينديا" في آن واحد. (الظاهر عدنان (2013) مع غابرييل ماركيز، روايته "مئة عام من العزلة"، الحوار المتمدن، استرجعت من: عدنان الظاهر - مع غابرييل غارسيا ماركيز / روايته مئة عام من العزلة (ahewar.org). (عبد الرحمن محمد (2020): 100 كتاب عالمي.. "مئة عام من العزلة" أحلام ماركيز من أجل السلام والعدالة، اليوم السابع، استرجعت من: 100 كتاب عالمي.. "مئة عام من العزلة" أحلام ماركيز من أجل السلام والعدالة - اليوم السابع (2015). (youm7.com). استرجعت من: غابرييل غارسيا ماركيز - المنشورات | Facebook)

مقارنة بين رواية "أميركا" للروائي "ربيع جابر"، و"رواية "مئة عام من العزلة" للروائي "غابرييل ماركيز"

أولاً: من حيث الزمان

إنَّ للزمن أهميةً كبيرةً في بناء العمل الأدبي، فأول ما يتبادر إلى ذهن الكاتب عند عكوفه على ودة عمل أدبي جديد هو تحديد الزمن بسؤاله، متى حدث ذلك؟ ومن ثم المكان الذي يكون مسرحاً لسير الأحداث، وبعدها يقوم بتحديد الشخصيات والأحداث والحبكة، ويتفاعل كل هذه العناصر لينتج عملاً أدبياً جديداً.

وتعود هذه الأهمية للزمن لعلاقته الوثيقة بالإنسان المتجلية في مختلف الأعمال الأدبية على مر العصور، بدءاً بالعصر الجاهلي، وإلى يومنا هذا، يقول "مندلاو" في كتابه "الزمن والرواية": "الاهتمام بالزمن يتبدى في كل فن، في إيقاعات الجاز القلقة بسبب سرعة ثوابتها وتوقفها، وفي تحرير النبذة من تركيب المقطع في الموسيقى الحديثة، وهو حاضر في بحث الشعراء عن إيقاعات أكثر حرية من الأنماط المقفلة نسبياً للأوزان والمقاطع التقليدية. وهناك فنانون حاولوا أن ينقلوا انطباع مرور الزمن في الرسوم، أي عملية الحركة نفسها لا مجرد حركة متوقفة. ولكن هذه الاهتمام بالزمن أشد ما نلمسه في الرواية التي تظل مع التوجه الصحيح أكثر الأشكال الأدبية مرونة وأشدّها إثارة" (1997، ص17)، ويعود مرة أخرى في موضع آخر ويؤكد على أهمية الزمن في الأدب الحديث وذلك بقوله: "إنَّ الكتاب المختلفين في كل شيء، اهتمامهم بالزمن يجمعهم" (1997، ص20).

وبما أنَّ الرواية تُعدُّ من الفنون الحديثة فيمكن القول إنَّها من الفنون الزمنية، وتأتي قدرة الروائي على التلاعب بالزمن تقديمًا وتأخيرًا، حذفًا وإسهابًا تؤكد ذلك. واتضح ذلك عند الروائي "ربيع جابر" في رواية "أميركا" فقد بدأ روايته من لحظة وصول "مرتا حداد" إلى أمريكا ثم عاد بالأحداث وبالرحلة الطويلة، فالزمن في الرواية يدور بطريقة عكسية فوصلها إلى العالم الجديد هي مبتدأ الرواية ثم يعود ليسرد قصصاً متشابكة وليفص الرحلة الطويلة التي ارتحلها "مرتا"، وأحياناً يأتي ذكر دقائق وساعات وأيام بدقة داخلًا إلى أعماق النفس، وتارة تجده يقفز قفزات تعدّ بالسنين، ومن أمثلة ذلك قوله: "بعد سنوات طويلة، وهي تجلس بين شجيرات ياسمين فواحة العطر في باسادينا كاليفورنيا، ستقول الجدة ردًا على سؤال من أحد أحفادها" (جابر ربيع، 2010، ص136)، وقوله أيضًا: "مرت أربع سنوات حدثت فيها أشياء كثيرة" (جابر ربيع، 2010، ص141).

لكنَّ الواضح من خلال سرد الأحداث وتسلسلها أنَّها تحكي حقبة زمنية، فما أن وصلت مرتا أميركا حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى التي أسهب في الحديث عنها، ثم وقف على الحرب العالمية

الثانية، والإنفلونزا الإسبانية والكساد العالمي والجراد الذي لم يبق ولم يذر، كلها أحداث كبرى، لم ينسها توالي الأيام وممرور السنين بعد، مستشهداً بتواريخ ووثائق تاريخية تثبت صحة ذلك. فكشف أن مرتا سافرت إلى أميركا ابنة التاسعة عشر عام ألف وتسعمئة وثلاثة عشر، مروراً بالعديد من الأحداث والوقائع الكبرى التي سبق ذكرها والرحلة الطويلة التي عاشتها مرتا حداد، وهي جالسة في حديقة بيتها في باسادينا وذلك بقوله: "في صيف 1973، بعد ستين عاما على نزولها في "أليس أيلاند" حاملة كيس الجنيفيس... (جابر ربيع، 2010، ص426)، وفي صفحات متأخرة أيضاً يأتي على ذكر أحداث سبتمبر في مطلع القرن الحادي والعشرين وإنفلونزا الطيور، وذلك في خضم الحديث عن الأنفلونزا الإسبانية التي كانت أشبه بفيلم رعب، وذلك بقوله: "ألف الكتب تؤرخ الحرب العالمية الأولى لماذا طُرد هذا الوباء خارج الذاكرة البشرية لاحقاً في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين، ستتذكره بسبب أوبئة أخرى؛ إنفلونزا الطيور مثلاً". (جابر ربيع، 2010، ص302/303)، ليتضح من ذلك أنه يتحدث عن قرنٍ زمني، فالرواية تمتد على طول قرن كامل، تحكي قصة "مرتا" التي تموت وقد بلغت من العمر ثمانين سنة، يسرد خلالها قصة عالم يتشكل على أنقاض عوالم أخرى، حيث الهجرة والتهجير من الأمكنة كلها إلى أميركا؛ وهو القرن العشرين، فبدأ الرواية عام ألف وتسعمئة وثلاثة عشر، وأطلعنا على العقد الأول من القرن العشرين عن طريق التذكر والاسترجاع، حيث زواجها وحياتها وعلاقتها بخالها.

في حين الروائي ماركيز في روايته "مئة عام من العزلة" أشار إلى ذلك منذ عتبة الرواية، فمتصفح المكتبة يجذبه العنوان ويقدم له الخلاصة في الوقت ذاته، وهو أنه يسرد تاريخ لمدة مئة عام من الوحدة وعدم الاحتكاك.

فكلتا الروائتين تسرد حقبة زمنية تمثل عشرة عقود. والسؤال هنا لم عشرة عقود؟ ما يحمل هذا الرقم في طياته؟ وما نتائجه؟ وما القادر عليه؟ هذا ما حاول الباحثة الإجابة عنه في تناول الزمن عند الروائيين ماركيز وربيعة عشرة عقود تحمل بين أيامها وسنينها العديد من الأحداث والمجريات لكنها تسير في طريق واحد نحو نتيجة واحدة، هذا ما أراد ماركيز أن يقوله في روايته "مئة عام من العزلة"، وجاء ربيع جابر وأثبتته في روايته. فماركيز تحدث عن تاريخ قرية "ماكوندو" من النشأة إلى الممات من خلال تسليطه الضوء على سلالة "بوينيديا" التي لم يكتب لها البقاء والاستمرار أكثر من عشرة عقود، فذيل الخنزير قطع سلالة "بوينيديا" ومسح القرية من الوجود، فكان آخر هذه السلالة مولوداً فيه شيء زائد عن بقية البشر وهو ذنب خنزير، وكأنه أراد أن يقول إنَّ عشرة عقود كافية للقضاء على السلالة البشرية ومسحها عن الكرة الأرضية، وهذا ما سعى جابر إليه أيضاً، فأراد أن يقول ليس المكان فقط كفيلاً بالتغيير، بل ويلعب الزمن دوراً واضحاً وقوياً، وذلك من خلال تصويره سلوك

الأجيال وطبائعها. والصراع القائم بين جيل الآباء والأبناء، فمن خلال عائلة جوزيف أسطفان تمكن ربيع جابر أن يعبر عن ذلك، فمارون يمثل جيل الأبناء، ذهب إلى الحرب زاعماً بذلك أنه يجب عليه أن يقدم شيئاً لأميركا، لا أن يأخذ فقط، ومتمكراً لجيل الآباء الذي ظلت بلاده تأسره، ويتجلى ذلك بقوله: "أردت أن أقول إنني أفعل هذا لأني أؤمن به، أعطتنا أميركا الكثير ولا بد أن نعطيها في المقابل شيئاً... أنا لا أفهم الجيل السابق، جيل الآباء يبدو لي منفصم الشخصية، يتصرف بحسب دفتري، دفتري يخفيه في الجارور ودفتري يكشفه أمام المحكمة، ألا تشعرين عندما تكلمين مع أحدهم أنه صاحب وجهين، أنه هنا وليس هنا في الوقت ذاته.. أما نحن الجيل الثاني، فنعرف ماذا نريد. هذا هو الفارق: نحن من هنا، ألا تظنين ذلك؟" (جابر ربيع، 2010، ص258)، وبذلك كأن الجيل الثاني أمريكي المولد والنشأة لا يكاد يعثر على جذر قوي يشده، "فالجيل الثاني الذي لا يجد له جذوراً قوية في الوطن الأصلي، وتكون أميركا له وطناً يدافع عنه ويحتمي به" (المعيني أحمد حسن (2010): استرجعت من أكثر من حياة: قراءات: رواية "أميركا" لـ(ربيع جابر (morethan1life.blogspot.com))، وكأن الجذور والحنين اضمحلت. فبتأمرك الجيل الجديد تنقطع أصوله وعلاقاته بماضي أبويه، وكأن العشرة عقود للتغير والنسيان وانقلاب الجينات لتصبح أميركية فالإبادة الجينية في رواية "مئة عام من العزلة"، تعادل الإبادة الفكرية في رواية أميركا، وهي بالتالي محصلة عشرة عقود، والكثير من القادة العسكريين راهنوا على أن الزمن كفيل بتطهير فكري لمن لم يكن التطهير العرقي مصيره.

ويلحظ القارئ للروائيتين أيضاً أن الزمن عند ماركيز يدور حول نفسه، ويتجلى ذلك بقوله: "مثل أوريليانو بالضبط يبدو كما لو أن العالم يدور حول نفسه" (ماركيز غابرييل: 2008، ص360)، وفي موطن آخر يقول "تاريخ الأسرة دولاب تكرر لا خلاص منه، عجلة دوارة يمكن لها أن تواصل الدوران إلى الأبد" (ماركيز غابرييل، 2008: ص376)، "فهو لم يلتزم جدولاً زمنياً منتظماً لروايته بل جعل حركة التاريخ تكرر نفسها وصولاً على دورانها داخل حلقة واحدة، جامعاً بين الماضي والحاضر والمستقبل" (2015: استرجعت من: غابرييل غارسيا ماركيز - المنشورات | Facebook). بينما عند "ربيع جابر" سار الزمن في خط مستقيم، وهذا بالتالي يحمل لغزاً يُدخل القارئ في متاهة الشكل الذي اصطفاها الكاتب للتاريخ. فالزمن في (ماكدونودو) بدأ من نقطة وسار عائداً إليها، فالنقطة هي نقطة البداية والنهاية معاً. أما أميركا فقد بدأ المؤلف بتاريخ ما واستمر إلى ما لانهاية. فقد كانت الأجيال في "ماكدونودو" محددة بالرقم ستة، أما أميركا فالأجيال أربعة قابلة للتزايد، حتى ولو كان الجيل الجديد لا يحمل الفكر نفسه المتوارث عن الأجداد.

ثانيًا: المكان

عند الحديث عن أي حدث في حياتنا اليومية، وحتى أي عمل أدبي، فإن العديد من الأسئلة المبهمة تتبادر إلى الذهن، ومن هذه الأسئلة.. أين؟ أين جرى ذلك؟ وهو سؤال مبرر فكيف ستخيل ما عملته الشخصية، وتعيش تجربتها وشعورها، إذا لم تستطع أن تتخيل المكان المتواجدة فيه، حتى الرواية الخيالية؛ التي لم تحدث فعلاً لها مكان، وذلك يمكننا من القول لو لم نجد مكاناً في رواية لاخترنا لها مكاناً، وليس هذا فحسب، بل وستدمجه بالزمان ذلك لنحصل على قيمة حقيقة لهذا المكان، فالعديد من النقاد بينوا وأكدوا أن المكان لا يكون منفصلاً عن غيره من العناصر الأدبية، وأولها الزمن، هذا ما عبّر عنه "حميد لحمداني" في كتابه "بنية النص السردى" بقوله: "الحديث عن مكان محدد في الرواية يفترض دائماً توقفاً زمنياً لسيرورة الحدث. لهذا يلتقي وصف المكان مع الانقطاع الزمني، في حين أن الفضاء يفترض دائماً تصوره الحركة داخله، أي يفترض الاستمرارية الزمنية" (1991، ص63)، وبين أيضاً أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار معين، لذلك الروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني (1991، ص65)

يتضح المكان في رواية "أميركا" من عتبة النص، فالعنوان ذو دال مكاني، والعنوان والعمل الأدبي بينهما علاقة قوية، فمسرح أحداث الرواية كان "أميركا"، فمن المعروف تاريخياً أن أميركا عبارة عن مزيج خليط من الشعوب تنصهر في بوتقة واحدة، فمتصفح الكتب والمكتبة يُخيل إليه أنه سيجد بين صفحات الرواية حديثاً عن العالم المركب تركيباً لغوياً وثقافياً وعرقياً، لكنه ما أن يشرع بالقراءة حتى يجده يضع الحي العربي تحت عين المجهر فقط، وينظر إليه بعدسة محدبة، وهو ما يطلق عليه "التركو". فخلق وطن عربي داخل وطن أجنبي، عالم يعيش بداخل آخر. وكأن هذا العالم العربي الصغير الذي ينبض في قلب أميركا جزيرة عربية طافية في محيط أجنبي، بحيث تصبح هذه الجزيرة متشابهة لمكان وموقع قرية (ماكوندو) التي تعيش منعزلة ومنقطعة عن العوالم المحيطة بها، وكأن العزلة الجغرافية في (ماكوندو) تعادل العزلة الثقافية واللغوية.

إنّ القرية في رواية "أميركا" هي الوطن، فقد مثلت الدفء الذي يهب على بدن وكيان المغترب عند تذكره الوطن والحنين له، تجلّى ذلك بقوله: "قبل أن تبلغ الباب دخلت رائحة دافئة إلى رأسها. في اللحظة ذاتها رأت قطار بجمدون يعبر أمامها برؤوس الماشية..". (ربيع جابر، 2010، ص 54) فقد تذكرت صباح الديك والتفاح ومرور القطار والبيت وشجرة الرمان وشجرة التين والهواء...، وهذا يدل على أنّ هناك ذكريات لا تزال تطفو على سطح عقلها بين الحين والآخر. فقد كان عقلها يسافر وحده، ويصل إلى أزقة الذاكرة وينعشها، ومن أمثلة ذلك قوله: "تنظر إلى الضوء الأصفر وتتخيل البيت البعيد وشجرة الرمان وشجرة التين والهواء الذي حين يهب يحمل الباب أوراق السنديانة، وتكنس

الورق ويرجع تكنسه ويرجع يتسلق العتبة ويدخل البيت. ومرات إذا تركت باب الخزانة بالناموسية الشبك مفتوحًا. يقع في صحون الزعتر والزيت ودبس العنب واللبننة " (جابر ربيع، 2010، ص 43)، ويقول أيضًا "إذا صاح الديك في القن فجرًا تنهض إلى جرن الماء خارج باب البيت، تغسل وجهها ثم تهرع وتطلق الدجاج وتفق حبل العنزتين أثناء الشتاء، حين اشتدّ البرد وغطت الثلوج كرخانة الحرير على كتف الوادي وأدخلت العنزتين إلى البيت ونامت جنبها" (جابر ربيع، 2010، ص 38) وما قرية "ماكوندو" عند ماركيز إلا شيفرة لقريته. فيمكن القول إنّ كلا الروائيين يتحدث عن قريته، ماركيز يتحدث عن قريته باسم "ماكوندو"، وكذلك ربيع جابر ابن بتاتر.

وهناك أمر لافت للانتباه أيضًا بين الروائيين، فقد كانت "ماكوندو" قرية منعزلة عن العالم المحيط بها، ومن خرج منها لم يأت بالجديد، خرج وعاد دون أن يحمل أو يضيف أي شيء جديد أي تطور "لماكوندو"، ولم يغير قدرها المحتوم بأن تبقى معزولة. أمّا "مرتاد حداد" فقد خرجت من بلاد مفتوحة إلى بلاد الفرص، فظاهرياً لا يبدو أنّ هناك تشابهاً جلياً بين الروائيين من حيث العزلة، أي عزلة القرية بأكملها، لكن عزلة القرية في "ماكوندو" تعادل العزلة الفردية في أميركا، فالعزلة الفردية لشخصية مرتاد حداد، عزلتها وانقطاعها عن قريتها "بتاتر" ووحدتها في بلاد الغربة بعد فقدان الزوج الأول واصطياد القدر الزوج الثاني.

ثالثاً: الشخصيات

الشخصية هي العنصر الذي يستطيع الكاتب أن يعبر من خلاله عما يريد، يُنطق الشخصية فتتكلم لما يدور في ذهنه، وهي أيضًا التي تشد جميع العناصر الأخرى إلى بعضها البعض، فيمكن القول إنّ الشخصيات هي محور العمل الأدبي الروائي، وبدونها يصبح العمل وكأنه سرد تاريخي، وعبارات ومعانٍ جامدة، فالأفكار تولد في الإنسان، أي في الشخصية، وبالتالي فهي من ذهن إلى آخر تتسرب، وتتفاوت الأفكار وفقًا لاختلاف شخصيات الرواية. وهذا ما يحرص الكاتب عليه في روايتهم وأعمالهم، فإنّ ذلك يكسب العمل الأدبي الواقعية، فبعضهم لشرائح المجتمع المختلفة؛ المرأة والرجل العجوز والطفل يعكسون الواقع من جهة، و من جهة أخرى يكشف عن قدرة الكاتب الفنية وسعة خياله، فإنّ مدى نجاح رسم الشخصية في أي نص سردي يعتمد على قدرة الروائي على كيفية خلق شخصياته الروائية، كيفية عرضها الذي لا يتأتى بسهولة لأي كاتب روائي (المحاسنة شرحيل، 2007، ص 29).

تتعدد الشخصيات وتتفاوت في الرواية، فليس شخصيات الرواية كلها سواء، وإنّما تتنوع تمامًا كتتنوع اختلاف الشخص في هذه الحياة، ومن الممكن أن تكون شخصيات الرواية هي أكثر

الشخصيات الرواية تأثيراً في حياة الكاتب أيضاً، بل من الممكن أن تكون شخصية ما هي التي هدت به إلى ولادة عمل أدبي جديد.

ففي كلتا الروائيتين تتقاطع العديد من الشخصيات الثانوية مع الشخصية المحورية، لتشكل في مجموعها صورة كاملة عن الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها، فالمرأة هي الشخصية المحورية في كلتا الروائيتين، مرتا حداد عند ربيع جابر هي الشخصية المحورية، وتشكل الخط الرئيس للرواية، وعند "ماركيز" أيضاً لعبت "أورسولا" وهي (ربة البيت) لعبت دوراً قوياً في سلالة "بوينديا"، لكن ما يثير انتباه القارئ لم احتلت المرأة دور البطولة؟ فالمرأة التي تهز مهد طفلها بيمينها، تهز العالم بشمالها، وهذا ما تمّ التأكيد عليه من كلا الروائيين، هل كانت عشتار هي الوحي الأدبي لهما؟

فمن رحم المرأة تولد الحضارة، والمرأة من أجل حبها للحياة، ومرونتها في التعاطي مع أحداث الحياة تجعل المستحيل ممكناً، وبالتالي هي العامل الذي عوّل عليه الروائيان في ضمان حياة أجيال في العمليين، فلو أصرت "أورسولا" على عدم تحقق الزواج الفعلي، لما كانت سلالة "آل بوينديا"، وهذا بالضبط ما حدث مع مرتا حداد وعلي جابر، صحيح أنّ الرجل شريك المرأة منذ البداية، ولم تستطع أن تتطلق بدونه، لكن حصة الأسد من العذاب والألم والتضحية، والمعاناة كانت من نصيبها، هذا ما دفع الكاتب أحمد المعيني إلى الحديث عن رواية "أميركا" تحت عنوان "عالم روائي بديع وملحمة بطلتها امرأة"، ويتجلى ذلك بقول "أورسولا": "وسألت الرب، دون خوف، عما إذا كان يعتقد حقاً أن البشر مصنوعون من حديد، ليتحملوا كل هذه الآلام والعذابات." (ماركيز، 2008، ص306) مؤكدة بذلك أنّ الحياة رحلة طويلة مليئة بالمعاناة والعذاب، وسيرة حياة مرتا حداد تثبت ذلك، فيمكن القول إنّ المرأة في الرواية "نموذج إيجابي للمرأة العربية التي تشق طريقها في الحياة بعد أن يخذلها الواقع والرجل معاً" (الأسطة، عادل (2015) استرجعت من : «أميركا» لربيع جابر : تداعيات -al-ayyam.ps)

ولتتخذ المرأة هذا الموقع المحوري في الرواية كان لابدّ من خلق شخصيات ثانوية تبرز بصغرها وحجمها المتواضع عظم البطولة، ولكن صغر حجم هذه الشخصيات لا يقلل أبداً من أهميتها، فهناك بعض الأحداث لا يوجد أقدر من الشخصية الثانوية على القيام بها، فمن أهم الشخصيات الثانوية في رواية "أميركا" شخصية السيد "هرمان"، و"جوزيف أسطفان" وعائلته وديعة صليبي، وقاسم عبد الباقي وحنانيا وغيرها العديد. أمّا عند "ماركيز" نجد "آمارانتا" و"بيلارتيزا" و"ملياديس" و"ريبكا" و"أوريليانو" و"ريمديوس" الجميلة و"أركاديو".

رابعاً: الأحداث

الحدث هو قلب الرواية الذي يتسارع نبضه ويتباطئ تماشيًا مع مكونات العمل الأخرى، أحداث رواية "أميركا" أحداث عالمية غيّرت مجرى التاريخ، بدءًا من الحرب العالمية الأولى التي أسهب الحديث عنها، ذلك لأنها كانت بتزامن مع وصول مرتا أمريكا، والحرب العالمية الثانية التي تناولها بايجاز، علّه بذلك تجنب التكرار الذي سيحصل لا محالة لو فعل العكس، والكساد العالمي، والإنفلونزا الإسبانية التي كانت أشبه بفيلم رعب، ومعاناة بتاتر في الوقت ذاته من الجراد الذي لم يبق ولم يذر، وبذلك تلقت الرواية مع أحداث "مئة عام من العزلة" والحرب التي دارت بين المحافظين والليبراليين فكلتا الروايتين صوّرت الحرب، فهل الحرب محفّز للقلم ليكتب والخيال ليجمّل؟ أم أراد القول إنّ الحرب ضرورة في التاريخ الإنساني، فلا يكاد يخلو التاريخ من كلمة بطل وقائد ومحتل، فالحروب والويلات والنكبات تؤثر على أفكار الناس المتجلية بوضوح في كتاباتهم وليس فقط على الأرواح والأجساد.

فكلتا الروايتين تسرد تاريخًا، ف "أميركا" تأتي على تاريخ المهاجرين الأوائل إلى أميركا، مرورًا بالعديد من المحطات المفصلية الواضحة الكبرى في تلك الفترة، وبذلك هي تسرد تاريخ قرن بأكمله؛ وهو قرن العشرين، ومن هنا تلقت مع رواية "مئة عام من العزلة" التي تتخذ من قرية "ماكوندو" محورًا لحديثها، فقد وقف على القرية من نشأتها حتى مماتها، عبر توالي السنين وتعاقب الأجيال لعشرة عقود، وكانت الحرب التي نشبت بين المحافظين والليبراليين، والمطر الذي استغرق أربع سنوات وأحد عشر شهرًا ويومين أبرز أحداثها.

فيمكن القول إنّ ذكر هذه الوقائع الكبرى أضفت على الرواية السمة التاريخية التاريخية، لكن القارئ المتمعن يخلص إلى أنّها ليست رواية تكتسب الصبغة التاريخية فحسب، وإنّما هي تكتسب الصفة التاريخية الاجتماعية، وذلك لأنّ كل منهما تناولت المجتمع البشري بكافة قضاياها، ف"ماركيز" تحدث عن سلالة "بوينديا" استهلها بالزواج الذي يشكل بؤرة الإنطلاق، إلى ميلاد و وفاة، وبذلك تكتمل دورة الحياة البشرية، في حين رواية "أميركا" وضعت المجتمع العربي السوري النابض بين أحضان أميركا تحت عين المجهر، فيمكن القول إنّ كلتا الروايتين هي توثيق تاريخي ودراسة اجتماعية لقرن كامل.

خامسًا: الحكمة والمبنى الروائي

صدّر "ربيع جابر" روايته بقوله: "هذه الرواية من نسج الخيال، وأي شبه بين أحداثها وأشخاصها وأماكنها مع أشخاص حقيقيين وأحداث، وأماكن حقيقية هو محض مصادفة ومجرد عن أي قصد" (جابر ربيع، 2010، ص8) وهي عبارة غالباً ما يصدر بها الكتاب الروائيين رواياتهم دفعًا لالتباس،

ولكنها بالوقت ذاته تثير في نفس القارئ سؤالاً، وهو، هل هي رواية حقيقية أم خيالية؟ وبالوقت ذاته يصاب القارئ لـ"مئة عام من العزلة" بالخيرة ويتساءل السؤال ذاته.

أشار "ربيع جابر" إلى إنها من نسج الخيال، لكنه يعود ويناقض نفسه بذكر كتب و وثائق تعود إلى تلك الفترة عربية وأخرى أجنبية، ومذكرات وسير ذاتية، وتقارير وصحف، وجرائد، تدل دلالة واضحة على أنها رواية واقعية، وتعود بأحداثها إلى حقبة زمنية، لكن ما السر الكامن وراء تصديره لها بأنها رواية خيالية؟

لقد جند الخيال وحمله سلاحاً، فكان الخيال بمثابة الغطاء الحامي له، فلو أن رواية ربيع جابر قُدمت للقارئ عارية دون الخيال، لعادت به إلى الفترة الزمنية التي حصلت بها هذه الأحداث ولكانت الجرائد والكتب التاريخية التي كُتبت عن هذه الحقبة أغنى وأثمن منها، ولما كان هناك داع لتأليفها في الأصل فالكاكتب أصرّ على منحها الصبغة الخيالية لتمييزها من بقية الكتب الأخرى، وليتحدث بطريقة وقلمه عن التاريخ. وهذا هو جوهر الاختلاف بين المؤرخ والكاكتب الأدبي؛ فالأول يسرد التاريخ كما هو، بينما الثاني يُنطق التاريخ، كما أن المؤرخ يخاطب العقل، أما الروائي فيخاطب العقل والقلب في آن واحد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما استخدم الخيال خوفاً من المساءلة القانونية وعلامات الاستفهام التي ربما تثار حول الرواية لكونها تحمل بعداً سياسياً.

فهل تكون بذلك معالجة ربيع جابر للخيال معارضة أم مشابهة للخيال عند "ماركيز" في روايته "مئة عام من العزلة"؟

والقارئ لسيرة "ماركيز" الذاتية يخلص إلى أن رواياته ما هي إلا شغيرة للواقع ولحياته أيضاً، فقد لعبت مرحلة الطفولة دوراً كبيراً في مسيرته الأدبية، فقد نشأ في كنف أجداده بين مرافقة جدّه نهراً، واكتشاف عوالم جديدة، وكانت مزرعة الموز المكتوب على بوابتها "ماكوندو" واحدة من أهمها، فقد زرع الاسم في ذهنه حتى كان اسم القرية في رواياته، وحكايات جدّته التي كانت تنقر بخياله بعد نقرها بأذنيه (غابرييل ماركيز، 2005).

لكنّ قراء روايته من معاصريه وعلى مرّ العصور يبصمون أنها رواية خيالية، وذلك لبراعة أسلوبه في تصوير الأحداث فعندما تحدث مثلاً عن صعود "ريميديوس" الجميلة إلى السماء جسداً وروحاً، وعن استرجاع الموتى والسمكات الذهبية والأطباء غير المرئيين والتواصل معهم والدجاج الذي يبيض ويتكاثر بصور عجيبة، والمطر الذي استمر أربع سنوات، يقول في موت ريميديوس الجميلة: "لاحظت أمارانتا أن ريميديوس الجميلة تشف بشحوب شديد، فسألته:

أتشعرين بالمرض؟

ابتمت (ريميديوس) الجميلة ابتسامة مشففة، وهي تمسك بطرف الملاءة الآخر، وقالت: على العكس، لم أشعر قط بأنني أحسن مما أنا عليه الآن، وما أن قالت ذلك، حتى أحست (فرناندا) بريح نور خفيفة تنتزع الملاءات من يديها، وتشرها على اتساعها. وأحست (أمارانتا) باهتزاز غامض في دانتيلها تتانيرها الداخلية، وحاولت التعلق بالملاءة كي لا تسقط أرضاً (ماركيز، 2008، ص 289)

وقوله أيضاً: "الدجاجة التي تبيض مئة بيضة ذهبية على إيقاع الدف والقرع المروض الذي يحزر الأفكار" (ماركيز، 2008: ص 25)، وبقله: "وبينما (ماكوندو) تحتفل باستعادتها الذكريات، كان (خوسيه) (أركاديو) (بوينديا) و(ميليادس) ينفضان الغبار عن صداقتهما القديمة، لقد جاء الغجري مصمماً على البقاء في القرية. فقد كان فعلاً في دنيا الموت، لكنه رجع من هناك لأنه لم يستطع تحمل الوحدة" (ماركيز، 2008، ص 65)، فهو أعاد "ميليادس" إلى دار الحياة من دنيا الموت، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يد على أصالة خياله حيث إنه قد شرب الخيال من منبعه الصافي، ألا وهو أحاديث وحكايات أجداده والأساطير القديمة، وروى بها عطشنا الدائم لأحداث خيالية ومشوقة، لدرجة أن الخيال كان العنصر المسيطر على الرواية، وهذا ما اصطلاح النقاد على تسميته بالواقعية السحرية، وتُعرف بالعجائبية أيضاً وهي "شكل من أشكال القص، تعترض فيه الشخصيات، بقوانين جديدة، تُعارض قوانين الواقع التجريبي" (علوش سعيد، 1985، ص 146)

صحيح أن رواية "أميركا" لم يكن الخيال بها إلى هذه الدرجة وهذا الحد، إلا أنه وظّف الخيال لصدّ بعض الثغرات، ومن أمثلة ذلك، "وفي خيالها رأيته يسقط إلى الأمام، وذقنه يطرق الرصيف، أسرع كي تساعده فأصابته الدهشة عندما سمعت صوته عارم القوة وحاداً، ولا يشوبه الوهن إطلاقاً، فتح ذراعيه وضمّهما إليها ضمة قوية، فزعت عندما فعلت لك" (جابر ربيع، 2010، ص 194)، وذلك في أثناء الحديث عن السيد "سكياس"، وبذلك يقول الكاتب عقبة المشوح: "كل ما سبق مشهد تفصيلي خيالي، لشخصية خيالية، لموقف خيالي، في ذهن شخصية الرواية، في قصة خيالية، ربيع جابر في (أميركا) يبدع في رسم التفاصيل الصغيرة، بما ينعكس على نفسية المقابل والقارئ، وفي التعايش مع جو الرواية أيضاً، وإن كان رسم التفاصيل هذا، ليس بعمق ماركيز في (مئة عام من العزلة) أو رضوى عاشور في (ثلاثية غرناطة) (مشوح عقبة 2011): استرجعت من Saudi Book Clubs أندية القراءة السعودية | Facebook)

وفي موطن آخر خلال حديثه عن الليلة التي قضتها مارتا بانتظار (وديعة صليبي) حيث الخوف والبرد والقلق، تسلل ربيع جابر إلى العالم الداخلي لها ورسم بريشة فنان ما تراه في خيالها، وذلك بقوله: "عائلة ألمايا تسكن هنا، الأب عنده متجر في طرف القرية، الأم ربة بيت تخبز خبزاً وحلوى، وتغلي على النار حليباً، وتعمل جبناً، الأولاد يتحلقون حولها، البنات الصغيرة شعرها أصفر، الرجل

قال لها ادخلي، ناولوها خبرًا طازجًا، وصحنًا فيه شوربة، أحد الاولاد سأل من أين هي، قالت: هي من سوريا، بعد الطعام، سألتها المرأة، هل تحب أميركا أم تتوي الرجوع إلى بلدها، لكن هذا كله غير حقيقي، ولم يحدث "جابر ربيع" (2010)، ص 163-164).

ويمكن القول إن كلا الروائيين لم يقعا في شرك التاريخ وجموده، بل على العكس تمامًا، فقد أشعل الخيال فتيل التاريخ، لدرجة انصهر بها التاريخ والخيال في بوتقة واحدة.

الخاتمة:

ليس من شك في أن الأدب يولد من الفكر التراكمي المعرفي واللامعرفي للأشياء والعالم، فالأديب باعتماده على الفكر يسلط الضوء على جانب من الحياة والتاريخ معًا، وبالتالي من لا يملك فكرًا لن ينتج أدبًا، فالروائيان ذوا عقلية يقظة متفتحة، وتعد أعمالهما الأدبية الروائية موضع البحث والدراسة خير مثال على ذلك، ف "ماركيز" منذ طفولته أطلق العنان لخياله متغذيًا على أحاديث جدّه وحكايات جدته، في حين "ربيع جابر" يمكن وصفه بالقارئ النهم، فقد رته على جمع تاريخ لمئة عام بين دفتي كتاب تؤكد ذلك، وهذا تأكيدًا لما يقال إن العقول العظيمة تفكر بالطريقة ذاتها، فعلى الرغم من اختلاف أصل وثقافة ولغة وحضارة كل منهما، إلا أن نقاط التلاقي في عمليهما تبدو واضحة.

وفي الحقيقة؛ إن قراءة العمل الأدبي وتحليله أمر لا يقل أهمية عن تأليف الحكم الأدبي نفسه، فلولا التحليل والتأويل والدراسة للعمل الأدبي، لما برز له أهمية ولما أدركنا القيمة الحقيقية له، فمثلاً يمكننا قياس نجاح أي عمل بحصيلة الدراسات عليه، والتي تقوم بالوقت ذاته على ذبوعه وانتشاره.

النتائج:

1- يعد ربيع جابر روائيًا لبنانيًا، حاز على جائزة البوكر العربية عام 2012 في روايته "دروز بلغراد- حكاية حنا يعقوب"، له العديد من الروايات، ومنها رواية "أميركا" الصادرة عام 2009، وعلى الرغم من طول الرواية، فقد جاءت في أربعمئة وثلاثين صفحة، إلا أنها متسلسلة الأفكار وشيقة السرد، متماسكة الحبكة، قدمت معلومات تاريخية عديدة، وعرضت حياة المهاجرين إلى أميركا في القرن العشرين، اختار ربيع جابر بطله روايته امرأة قوية، فلم ترسخ لليأس والاستسلام وتحديات الحياة، إنما واجهت حتى غدت تاجرة ثرية.

2- يعد "غابرييل ماركيز" روائيًا وصحفيًا وقاصًا أمريكيًا، حاز على جائزة نوبل للآداب عام 1982 في روايته "مئة عام من العزلة" الصادرة عام 1976، والتي لم تزل حتى اليوم جاذبة للقراء ودافعة الباحثين للدراسة والتحليل، يأتي بها على سلالة "آل بوينديا" وتأسيسهم لقرية "ماكوندو"،

مرورًا بتاريخ يمتد إلى عشرة عقود، ذاکراً العديد من الأحداث اليومية والاجتماعية والسياسية، مازجاً كل ذلك بخيال فياض، أكسب الرواية خصوصية وسمّة بارزة.

3- النقت الروائيتان في عدة عناصر أدبية؛ وهي الزمان والمكان، والشخصيات والأحداث، والحبكة والمبنى الروائي، فكلتا الروائيتين تسرد حقبة من الزمن؛ وهي عشرة عقود، قرن بأكمله. أمّا المكان فقد تحدث "ربيع جابر" عن قريته "بتاتر"، و"ماركيز" عن قريته "ماكوندو"، وقد يخيّل للقارئ أنّ الروائيتين لا تتشابهان في عزلة المكان، لكن عزلة القرية في "ماكوندو" تقابل العزلة الفردية لمرتا حداد في أميركا. في كلتا الروائيتين نجد المرأة هي الشخصية المحورية، مرتا حداد عند ربيع جابر هي الشخصية المحورية، وتشكل الخط الرئيس للرواية، وعند "ماركيز" أيضاً كان لـ"أورسولا" دور كبيراً في سلسلة "آل بوينديا". وكلتا الروائيتين أيضاً تسرد تاريخاً، ف "أميركا" تتحدث عن تاريخ المهاجرين الأوائل إلى أميركا، مروراً بالعديد من المحطات المفصلية الواضحة الكبرى في تلك الفترة، وبذلك هي تسرد تاريخ قرن بأكمله، ومن هنا تلتقي مع رواية "مئة عام من العزلة" التي تتخذ من قرية "ماكوندو" محوراً لحديثها، فقد وقفت على القرية من نشأتها حتى مماتها، عبر توالي السنين وتعاقب الأجيال لعشرة عقود.

قائمة المصادر والمراجع:

- جابر ربيع (2010): رواية أميركا، ط2، بيروت: المركز الثقافي العربي ودار الآداب.
- لحداني حميد (1991): بنية النص السردي، ط1، بيروت: المركز الثقافي.
- علوش سعيد (1985): معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، ط1، بيروت: دار الكتاب، المغرب: سوشبريس.
- ماركيز غابرييل جارتا (2005): أن تعيش لتحكي، ترجمة طلعت شاهين، ط1، مصر: سنابل.
- ماركيز غابرييل غارسيا (2008): مئة عام من العزلة، ترجمة صالح علماني، ط3، بيروت: دار المدى.
- المحاسنة شرجيل إبراهيم أحمد (2007): بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية، إشراف أ.د. محمد شوابكة، الأردن: جامعة مؤتة.

- مندلاو (1997): الزمن والرواية، ترجمة بكر عباس، مراجعة إحسان عباس، ط1، بيروت : دار صادر.

المواقع الإلكترونية

- الأسطة، عادل، (2015/1/6): أميركا لربيع جابر: تداعيات، رام الله: جريدة الأيام.
- الظاهر، عدنان (2013/4/9): مع غابرييل غارسيا ماركيز، روايته "مئة عام من العزلة"، الحوار المتمدن، ع.4057.
- عبد الرحمن محمد (2020): 100 كتاب عالمي " مائة عام من العزلة" أحلام ماركيز من أجل السلام والعدالة.
- المحسن فاطمة (8/أكتوبر/2009): رواية ربيع جابر أميركا تبادل الأماكن وتبدلها في قصة الهجرة والاعتراب، صحيفة الرياض. ع.15081.
- مشوح عقبه (24/مايو/2011) أميركا قراءة تحليلية، أندية القراءة السعودية.
- المعيني أحمد حسن (10/فبراير/2010) عالم روائي بديع، وملحمة بطلتها امرأة، عرض لرواية أميركا، عمان: جريدة عمان ملحق شرفات.
- النابلسي مهند (2/ابريل/2012) أميركا للكاتب ربيع جابر، رواية ملحمة عن عذابات المهاجرين الأوائل.

ملحق

عقبة مشوح، أميركا : قراءة تحليلية

" العام الفأنت، أخبرني الزميل الباحث حسام تمام بأن أطلع على كتاب أكاديمي موثق في غاية الأهمية يتحدث عن هجرة الشوام الى مصر، قلت له مستبقا ونحن في منزله بالإسكندرية، اني بالفعل قرأت هذا الكتاب -الموسوعة في أغلب أجزائه في مكتبة هذه المدينة العريقة، وتركت الاجزاء السردية المتعلقة بأسماء المتوفين والمتزوجين والوثائق والمراجع وما يتعلق بالباحثين والدارسين أكثر من العابرين قراءة وثقافة .

الهجرة الشامية إلى مصر لم تتوقف عندها، فلما اضطربت الأوضاع في مصر من حروب ومشاكل ثم الثورة الناصرية التي أمت الاراضي وسلبت امتيازات الملاك، هاجر الكثير من أولئك المهاجرين مرة أخرى الى أمريكا هذه المرة بقارتيها الشمالية والجنوبية وكأن حياتهم عبارة عن سلسلة متوالية من الهجرات اللامنتهية!

منذ سنين عديدة كنت أقول لشريكي في الغربة نعزي أنفسنا بفقدان الأوطان التي لم نر منها شيئا ان فطرة حب الاوطان هي وهم كاذب وابتداع عاطفي له اغراض أخرى، ودونك الهجرة الشامية التي ابتدأت منذ القرن التاسع عشر من جبل لبنان خصوصا الى جميع بقاع العالم لأسباب عديدة يقع العامل الاقتصادي منها في المرتبة الاولى ثم السياسي والاجتماعي والديني.

فلم يحن هؤلاء لبقعة تدعى "وطنهم" فرضت عليهم فرضا دون أي اختيار منهم، ولما ضاقت الحال كان شعارهم "لا إكراه في الوطن" وحيثما وجدت المصلحة فهي وطني، وحيثما وجدت كرامتي وحياتي وعزتي كانسان حر كما خلقتني الله، فهذا هو وطني، وتلك الكرة الأرضية هي وطني .

نعم، كُتبت علينا الهجرة وهي كره لنا، لكنها ليست نهاية المطاف، بل بداية القصة، والتحدي هنا يكون في الوطن الذي "تختاره" لا الذي فرض عليك وورثته أبا عن جد! فان استطعت ان تختار وطنك "البيولوجي" فيها ونعمت، وان سلبك هذا الوطن البيولوجي عزتك وكرامتك وحيثك فلا أقل ان تتمتع بمقدراتك الحرة لتختار وطنك !

فحب الحرية هي الفطرة، وليس حب الوطن . الهجرة والوطن والاغتراب هي ما يعالجه الروائي المبدع "ربيع جابر" في رواية "أمريكا" التي اقتتصتها مصادفة من معرض الرياض الدولي للكتاب في الربيع الفأنت .

تعالج رواية "أمريكا" الانسان نفسه في نزعاته المختلفة ما بين الحب والاغتراب والعذاب والعزة والالام . المعالجة الروائية لهذه المواضيع تذهب بعيدا بنا عندما تدرس وتعرض لنا أحلام "مرت"،

الشخصية الرئيسية في الرواية، في نومها لينعكس الخيال على الواقع وتؤثر هذه المنامات في سلوك شخصيات الرواية ومسارات الأحداث، وهنا الابداع بدمج واقع القصة الخيالي بأحلام شخصيات القصة.

ربيع جابر أيضًا ماهر جدًا في رسم رواية واقعية من الخيال أو رواية خيالية من الواقع، هنا البراعة في أن تدخل القارئ في جو حياة وشخص خياليين على أرضية من الواقع أو العكس بدمج أحداث وقعت فعلاً مع تفاصيل كثيرة غالباً لم تقع مع أناس ربما عاشوا وربما لم يكونوا موجودين لكن كان لهم نظراء في أخلاقهم وتصرفاتهم وأحداثهم في ذلك الزمن. وبالفعل يحيلنا ربيع جابر للكثير من الوثائق والمراجع الخاصة بحياة السوريين في أمريكا في تلك الفترة الزمنية من مطلع القرن العشرين إلى منتصفه. أنت هنا تتجح وتكون روايتك بارعة عندما لا يفرق القارئ بين الحقيقة والخيال في هذه الرواية، وهذا ما اتقنه الراوي هنا .

وربما تؤثر بعض شخصيات الرواية في حياتك وطبائعك بتصرفاتها أو بمهارة رسم الكاتب لنفسياتها ومواقفها فتتطبع في ذهنك خصوصاً إن تقمصت إحدى تلك الشخصيات أو رأيت في بعض تلك القصص انعكاساً لحياتك الحالية !

من بعض إبداع ربيع جابر في "أمريكا" هو رسمه لتخيلات شخص الرواية داخل الرواية نفسها، فكأنك تقرا خيالاً في خيال أو كأنه يدخلك إلى عقل شخصية الرواية "مرتا حداد" وهي ترى السيد "سكياس" قادماً إلى المتجر فتتخيله يهوي إلى الامام واقفاً بعد مرضه: "في خيالها رأيته يسقط إلى الأمام وذقنه تطرق الرصيف أسرع كي تساعده"

كل ما سبق مشهد تفصيلي خيالي لشخصية خيالية لموقف خيالي - في ذهن شخصية الرواية - في قصة خيالية! ربيع جابر في "أمريكا" يبدع في رسم التفاصيل الصغيرة بما ينعكس على نفسية المقابل والقارئ أيضاً في التعايش مع جو الرواية، وإن كان رسم التفاصيل هذا ليس بعمق ماركيز في "مئة عام من العزلة" أو رضوى عاشور في "ثلاثية غرناطة" ص ١٧٠

في "أمريكا" تتوالد عشرات القصص من رحم قصة "مرتا حداد" تدور كلها حول محور الغربة والاعتراق والرحيل البعيد عن الأوطان وما يكتنف ذلك من مشاعر إنسانية وآلام وأحزان وأفراح ومآسي وما يجمع كل ذلك .

وكأننا في أمريكا نقرأ يوميات وتدوينات "مرتا حداد"، فتارة تحدثنا عن رحلتها الطويلة إلى الغرب من أجل ذلك الزوج الخائن وتارة أخرى تحدثنا عن الحرب العالمية الأولى ووقائعها في الشرق والغرب، ثم تعرج بنا الحديث عن المجاعة التي وقعت في الجبل وأهلك الألو ف .

يبدو ربيع جابر متحمساً ومتشوقاً مثلاً وهو يكتب هذه الرواية الرائعة الى درجة انه يقفز في بعض المقاطع والفصول لسنين وشهور ليخبرنا ماذا سيحدث "لمرتا" في امريكا او ليخبرنا بنهاية قصتها مع "علي جابر" ثم يعود مسرعاً لسياق القصة الاصلي في أسلوب فريد. استمرت القصة تسير برتم هادئ بل بطيء يغوص كثيراً في التفاصيل (أليس الإبداع في التفاصيل!) في الأرباع الثلاثة الاولى من القصة الى لحظة زواج "مرتا" الثاني.. هنا يتغير رتم الرواية فوراً الى السريع وتغيب الكثير من التفاصيل لتعتمد هل السرد العام و "الحكي" بشكل أكبر.

كانت الأرباع الثلاثة الاولى من القصة تغوص في دواخل وكوامن "مرتا" ونوازعها النفسية والفكرية، بينما الربع الاخير انبسط الامر ليشمل العائلة الجديدة كلها وان بقيت مرتا هي المحور لكن لم يدم ذلك طويلاً بعد وفاة الزوج الثاني الفجائية ومن ثم العودة للتمركز النفسي في شخصية مرتا قبل ان نرى مرتا بشخصية اخرى بعد الشفاء من المرض. كان الغياب وفراق وخيانة الزوج الاول ومن ثم وفاة الزوج الثاني حدثان مسيطران في الرواية تنبثق منهما كل احاديث مرتا ونوازعها النفسية والفكرية التي صبغت الرواية بصبغتها الجميلة تلك.

أيضاً في الربع الرابع والآخر من هذه الرواية يخيل إليك أن "ثيمة" مائة عام من العزلة تتجلى وتنتال في صفحات هذا الربع عبر اجيال هذه العائلة وتلك الأرملة .

يستخدم ربيع جابر أسلوب DeJaVu مع بعض شخصيات الرواية في عدد من المواقف خصوصاً مع "مرتا" التي تسافر في ذهنها الاحداث الى الامام لتكرر نفسها وتمتعنا بما نثرته -او نثره الراوي- من نوازعه النفسية والفكرية على صفحات هذا الكتاب.

في "أمريكا" رسم لنا ربيع جابر ملحمة الهجرة والاعتراب والألم والحب، ذلك الحب الذي يدفعك لان تغادر مجتمعك الامن الصغير لنقطع البحار وآلاف الأميال من أجل من أحببت. لكن حينما يطعنك ويخونك من أحببته وبذلت لأجله الغالي والرخيص فلا بديل حينها من ان تنساه وتحب نفسك وتعود كيوم ولدتك امك طاهراً من هذا الحب.

مقتطفات من الرواية " :كانت تعلمه أن يبتسم من غير ضعف " " ..عندما صافحها أخبرتها اليد شيئاً " وفي قلبه الأبيض نقطة السوس سوداء " "نظر إلى الساعة في معصمه وقال "فعلاً" ولم يطلق القذيفة الأخيرة في المدفع. كان يرضخ لإرادة التاريخ " " .هي التي قطعت الأرض كيف لم تقطع تلك الأمطار القليلة الباقية؟ " " يده اليمنى غاصت في جيب الجاكيته وربت بحنان على الظرف كأنها تلاطف الرسالة " .